[فصل: وفيها توفي]

يحيى بن يَعْمَر

أبو سليمان اللّيثيّ البَصريّ، وهو أول من نقط المصاحف.

وكان عالماً بالقرآن والعربية.

[وقد ذكرنا أن الحجاج أخرجه إلى خراسان،] وولاه قضاء مرو، فأقام بها، وكان يقضي بالشاهد واليمين.

وقال موسى بن يَسار: رأيتُ يحيى قاضياً بمرو، وربما رأيتُه يقضي في السوق والطريق، وربما جاءه الخصمان وهو راكب على الحمار، فيقف فيقضي بينهما.

وكانت وفاته بمرو، وقيل: بالبصرة، والأول أصح.

أسند الحديث عن ابن عمر، وابن عباس، وأخذ العربية عن أبي الأسود الدُّؤلي، وروى عنه عبد الله بن بُرَيدة، وإسحاق بن سُوَيد[1].

السنة التسعون من الهجرة

وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله عن مصر، وولّى عليها قُرَّةَ بن شَريك، فولّى قُرَّة أبا عبد الرحمن الخَولاني على قضاء مصر، واسم الخولاني: عبد الله بن عبد الرحمن بن حُجَيْرة[2]، وكان أبوه قاضي مصر، وقيل: إنما ولّاه الوليد.

وهو الذي قدم على سليمان وعمر بن عبد العزيز ببيعة أهل مصر، وكان زاهداً عابداً ورعاً.

[وحكى ابن عساكر عن] إبراهيم بن نَشيط قال: دخلتُ عليه وهو على قضاء مصر، فقدّم إليّ عدساً بارداً على طبق من خُوص، وفيه كعك يابس، فقلت: ما هذا؟ فقال: بُلَّ الكعك بالماء، وكُلْه بالعدس، فلم تتركنا إقامة الحقوق نشبع الخبز.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٣٧٢ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٢ ، و«السير» ٤/ ٤٤١ والمصادر في حواشيهما، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في (أ) و(خ) و(د): فولى قرة عبد الله بن عبد الرحمن بن صخرة الخولاني، والمثبت من (ص)، وانظر أخبار الخولاني في مختصر «تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٥ ، و«تهذيب الكمال» (٣٣٦٥) وفروعه.

وصُرف بالقاضي عِياض بن عبد الله الأَزديّ من قبل قُرَّة في سنة ثلاث وتسعين، فكانت ولايتُه ثلاث سنين، وأقام عياض أربع سنين، ثم صُرف عنها، فوليها عبد الله ابن حُجَيرة[١] ثانياً في رجب سنة سبع وتسعين من قبل الأمير عبد الملك بن رِفاعة، ثم صرف عنها في سنة ثمان وتسعين.

وكان ثقةً من التابعين.

وفيها فتح قُتيبة بن مُسلم بُخارى، ولما قطع قتيبة النهر قاصداً بخارى استنجد عليه وَرْدان خُداه صاحبها السُّغْدَ والتُّركَ ومَن حوله، فأتوه، فسبقهم قتيبة فحصرهم، وجاءت الأمداد، وخرج وَرْدان خُداه، وحملوا جميعاً على المسلمين فحطموهم، ودخلوا الخيام، وقاتلهم النساء، ثم عاد المسلمون عليهم فأخرجوهم وألحقوهم بمواقفهم.

ورجع قتيبة إلى مرو بعد أن فض جموع أهل بخارى، وصالح ملك السُّغْد، وعاد نيزك مع قتيبة.

وقيل: إنه فتح بُخارى وحصونَها في هذه السنة.

ولما رأى نيزك ما فتح قتيبة خاف على بلاده، واستأذنه في العود إلى بلاده فأذن له، فلما سار متوجهاً إلى بلاده قال لأصحابه: إن العربي بمنزلة الكلب، إن ضربتَه نبح، وإن أطعَمتَه بَصْبَص، وقتيبة كذا، يقصد الملوك، فإن أعطوه شيئاً أخذه ورجع عنهم.

ثم إن قتيبة ندم على ترك نيزك، فأرسل خلفه رسولاً ففاته، ولما وصل نيزك إلى مأمنه كاتب ملوك ما وراء النهر، واتفقوا على غزو قتيبة في أيام الربيع، ويقال: إن قتيبة سار إلى الطَّالَقان، فقاتلهم فنُصر عليهم، فنصب منهم[٢] سِماطَين أربعة فراسخ على أسلوب واحد، وقيل: إنما كان ذلك سنة إحدى وتسعين.

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج إلى الشام، وكان قد حبسهم وضيَّق عليهم، وقيل: كان ذلك في سنة أربع وتسعين، وهو الأصح وسنذكره هناك.

وحجّ بالناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان على المدينة.

---

(١) نسبه إلى جده، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة. السالف ذكره.

(٢) في الطبري ٦/ ٤٤٧ : فصلب منهم.

وكان على مكة والطائف خالد بن عبد الله القَسْرِيّ[١]، وعلى العراق والمشرق الحجاج، وعلى مصر قُرَّة بن شَريك، وعلى الجزيرة محمد بن مروان.

وكان العباس بن الوليد ومَسْلَمة بن عبد الملك قد دخلا بلاد الروم، وقيل: إن مَسلمة كان في ناحية القُسطَنطينيّة، وبلغ [العباس بن] الوليد إلى أَرْزَن الروم[٢].

[فصل] وفيها توفي

أبو ظَبْيان

حُصَين بن جُنْدب الجَنْبِيّ المَذْحِجِيّ الكوفيّ.

[وذكر ابن سعد أبا ظَبيان] في الطبقة الثالثة [من أهل الكوفة] من التابعين[٣].

[وقال الواقدي:] غزا الصائفة مع يزيد بن معاوية سنة خمسين حتى بلغ القسطنطينية.

[وقال ابن سعد:] توفي سنة تسعين، وقيل: سنة خمس وتسعين.

أسند عن علي، وعثمان، وسلمان، وأسامة بن زيد، وجرير، وابن عباس ﷺ.

وروى عنه ابنه قابوس، والنَّخَعي، والشَّعبيّ، والأعمش. وكان ثقة.

[فصل: وفيها توفي]

خالد بن يزيد

ابن معاوية [بن أبي سفيان، وكنيته] أبو يزيد[٤]، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الشام، وأمه أمُّ هاشم بنت [أبي هاشم بن] عُتبة بن ربيعة[٥]. وهي ابنة خال معاوية ابن أبي سفيان، ويقال لها: أم خالد.

---

(١) كذا، وفي الطبري ٦/ ٤٤٧ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٦ أن عمر بن عبد العزيز كان عامل الوليد على المدينة ومكة والطائف.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٤٢ وما بين معكوفين منه.

(٣) كذا نقل عن ابن سعد، والذي في طبقاته ٨/ ٣٤٤ أنه في الطبقة الأولى من أهل الكوفة ممن روى عن علي عليه السلام، وفي «تاريخ دمشق» ٥/ ١٤٩ (مخطوط) نقلاً عن ابن سعد أنه في الطبقة الثانية. وما بين معكوفين من (ص)، وانظر «السير» ٤/ ٣٦٢ .

(٤) في مصادر ترجمته: أبو هاشم، انظر «المعارف» ٣٥٢ ، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٩ ، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٥٧٩ ، و«تهذيب الكمال» (١٦٤٩)، و«السير» ٤/ ٣٨٢ والمصادر في حواشيه، وما بين معكوفين من (ص).

(٥) ما بين معكوفين من «نسب قريش» ١٢٨ ، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥ .

[قد ذكرنا من أخباره عند بيعة مروان بن الحكم.

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو بكر الصولي أنه كان مولعاً بالكيمياء، وكذا قال جدّي في «المنتظم» لأنه قال:] كان من رجالات قريش، والمعدودين من كبرائهم سماحة وفصاحة وعقلاً، وكان قد شغل نفسه بالكيمياء، فضاع زمانُه[1].

وقيل: إن له في الكيمياء قصيدة طويلة.

وقد أنكر قوم هذا؛ فقال المَرْزُباني: كان خالد أعقل من ذلك، وإنما كان له مال كثير فنسب إلى ذلك، وإلا فهو أجلُّ من أن يُضيع عمره في ما لا محصول له، ويذهب بالمال والدين والعرض، وقد قيل عنه: إنه كان يشتغل بالنجوم.

وقال الشعبي: قدم الحجاج على عبد الملك، فمر بخالد وهو يتبختر في مشيته، فقال رجل لخالد: مَن هذا؟ فقال خالد كالمستهزىء به: هذا عمرو بن العاص، وسمعه الحجاج فالتفت إلى خالد وقال: ما أنا عمرو بن العاص، ولكني ابن الغَطاريف من ثَقيف، ضربتُ بسيفي مئةَ ألف؛ كلُّهم يَشهدون أن أباك وجدَّك في النار، ثم لم أجد لذلك عندك شُكراً إلا أن تستهزىء بي! فقال له خالد:

أما قولك: إنك ابن الغَطاريف؛ فما أنت إلا عبد من عبيد ثقيف من بقايا ثمود، وينتهي نسبُك إلى أبي رِغال، وأما قولك: إنك ضربتَ بسيفك مئة ألف؛ فما كان سيفك، وإنما كان سيف عبد الملك، وإلا فاذكر طَعنات غزالة في قَفاك وهي على باب القصر في خمسين فارساً، وأنت في خمسين ألفاً، ثم لك عندي بشارتان، قال: وما هما؟ قال: إخبار رسول الله ﷺ أنك مُبير، والثانية النار، فوَجَم الحجاج ومضى.

وقال هشام[2]: أمهر الحجاجُ ابنةَ عبد الله بن جعفر سبعين ألف دينار، فزوّجه إياها، وبلغ خالداً، فطرق باب عبد الملك ليلاً، فأذن له فقال: يا أبا يزيد، ما هذا الطُّروق؟ قال: أمر لا يُنتَظرُ له الصّباح، قال: وما هو؟ قال: هل علمتَ أن أحداً كان

(١) «المنتظم» ٦/ ٢٣٦ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) الخبر في «العقد الفريد» ٦/ ١٢٢ عن العتبي، عن أبيه.

بينه وبين أحد من العداوة مثل ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير؟ قال: لا، قال: فقد تزوَّجتُ منهم، وما في الدنيا اليوم قبيلة أحبّ إليّ منهم، فكيف تركتَ الحجاج يتزوج إلى بني هاشم، وهو سَهْمٌ من سهامك، وقد علمتَ ما يقال لبني هاشم: إنهم يملكون الناس في آخر الزمان، وقد ولَّيتَ الحجاج على نصف الدنيا، وبيده الأموال، وعنده الرجال؟! فجزاه عبد الملك خيراً وقال: وصلتك رَحِم، وكتب إلى الحجاج يَعْزِم عليه بطلاق بنت ابن جعفر، فطلّقها.

وبلغ الحجاج الخبر فأخذ يذم خالد بن يزيد ويقول: صيَّر الأمر إلى من هو أولى منه، ولم يكن لذلك أهلاً، فقال له عَمرو بن عُتبة بن أبي سفيان: ليس كما قلت، إن خالداً أدرك مَن كان قبله، وأتعب مَن بعده، ولو رام الأمر لما فاته، ولكنه رأى أن يُسلمه إلى من سَلّمه إليه، فخجل الحجاج وقال: يا عمرو، إنا نَخْبُرُكم بأن نعتب عليكم، ونستنطقكم لننال منكم، وقد علمنا أنكم تحبون الحلم فعرضنا عليكم ما تحبون[1].

وقال الزهري[2]: غضب عبد الملك على خالد بن يزيد، وكان يخاف منه لميل الناس إليه، فمنعه العطاء، ومنع آل حرب أيضاً، وضيّق على خالد فلم يلتفت خالد وقال: أيتَهَدَّدُني عبد الملك بالحرمان ويد الله فوق يده، وعطاؤه مَبذولٌ دون عطائه، ومن سأل غيره فقد بذل نفسه أكثر مما أخَذَ لها.

وقال هشام بن الكلبي: أجرى عبد الله بن يزيد بن معاوية ـ وهو أصغر الأصاغر، ويُلقَّب بالأُسْوار ـ خيلَه مع خيل الوليد بن عبد الملك، فسبقه عبد الله، فلقي الوليد خيلَ عبد الله فعَقَرها، فقال عبد الله لأخيه خالد: لقد هممتُ اليوم أن أقتل الوليد، فقال خالد: بئس ما هَمَمْتَ به، أتقتل ابنَ أمير المؤمنين ووليَّ عهد المسلمين؟ فقال: إن خيلي سبقت خيله فعَقَرها، فدخل خالد على عبد الملك فقال له: إن الوليد عَقَر

(١) في «العقد»: إنا نسترضيكم بأن نعتب عليكم، ونستعطفكم بأن ننال منكم، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا فتعرضنا للذي تحبون.

(٢) هذا الخبر وتاليه في «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٤ـ٥٨٥ (مخطوط) عن المدائني، وما سيرد بين معكوفين منه.

خيلَ أخي! فقال عبد الملك: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[النمل: ٣٤]، فقال خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[الإسراء: ١٦]، فقال له عبد الملك: أتُناظر عن أخيك وهو لُحَنَة، قد أعياكم تقويمُ لسانه؟! فقال خالد: أعيانا ما أعياك من الوليد ـ وكان لُحَنَة ـ فقال عبد الملك: إن يكن الوليد لَحَّانا فإن سليمانَ لفصيح، فقال خالد: إن يك عبد الله لحاناً فإن خالداً لا يَلْحَن، فقال عبد الملك: حُقَّ لمن قتل عَمرو[1] أن يفخر، يريد نفسه، فقال له خالد: إن الغَدْرَ سُبَّة، ولَمَروان كان أطولَ باعاً، يعني أن أُمَّه قتلتْه[2]، فقال عبد الملك: إنني لأرى ثأري في مروان صباحاً ومساءً، ولو شئتُ لأزلتُه، يعني أن أم خالد قتلته، فقال له خالد: إذا شئت أن تطفىء ثُؤْرَتك فافعل، فقال عبد الملك: يا خالد ما أجرأك علي! خلني عنك، فقال خالد: لا والله ألم تسمع قول القائل: [من الخفيف]

ويجرُّ اللِّسانُ من أَسَلاتِ الحَرْ ... بِ ما لا يَجُرُّ [منها] البَنانُ

وكان الوليد بن عبد الملك حاضراً فقال له: يا خالد، أتتكلّم ولستَ في العِير ولا في النَّفير؟ فقال خالد: يا وليد أنا والله ابنُ العِير والنَّفير، سيد العير جَدّي أبو سفيان، وسيد النَّفير جدي عُتبة بن ربيعة، ولكن اذكروا غُنَيمات وحُبَيلات بالطائف، وترحّموا على ابن عفان ـ أشار إلى نَفْي رسول الله ﷺ الحكم جدّ عبد الملك إلى الطائف، يرعى غُنيمات، ويأوي إلى حُبَيلات، وهي الكُرُوم، جمع حَبَلة ـ فقال عبد الملك: يا وليد، إياك أن تعبث بعدها بأخيك وابن عمك خالد، فإن أباه كان يُكرم أباك، وكان جده يُكرم جدَّك.

وقال أبو اليقظان: كان خالد على حمص فبنى جامعَها، وكان له فيه أربع مئة عبد يعملون، فلما فرغوا من العمل وتم البناء أعتقهم.

وقال الزبير بن بكار: كان خالد وأخواه عبد الله وعبد الرحمن من صالحي القوم،

---

(١) يعني ابن سعيد الأشدق. وانظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٢ ، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٧ـ٣٤٨ .

(٢) وكانت أمُّ خالد بن يزيد غَمَّتْ (أو سَمَّتْ) زوجَها مروان بن الحكم لَمَّا عيَّر ابنَها خالداً بها . ينظر أنساب الأشراف ٤/ ٤٠٣ .

وجاءه رجل فقال: قد قلتُ فيك بيتين، فقال: أنشِدْهما، فقال: على حُكمي؟ قال: نعم، فأنشده: [من الطويل]

سألتُ النَّدى والجُودَ حُرَّانِ أنتُما ... فقالا جميعاً إننا لعَبيدُ
فقلت فمَن مولاكما فتطاولا ... عليَّ وقالا خالدُ بنُ يزيد[1]

فأعطاه مئة ألف.

[قلت: وقد جرى مثل هذا ليحيى بن خالد بن برمك.]

وقال العُتْبيّ: لزم خالد بيته، وترك مجالسة الناس، فقيل له في ذلك فقال: وهل بقي إلا حاسِدُ نعمةٍ، أو شامتٌ بنَكْبَة[2].

وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً، ذكر البَلاذريُّ من شعره[3]: [من مجزوء الكامل]

قَصْرُ الجديدِ بِلَّى وقَصْرُ الـ ... ـعَيشِ في الدنيا انقِطاعُهْ
مَن نال في الدنيا متا ... عاً ثم دامَ به انتِفاعُهْ
أم أيُّ شِعْبٍ ذي التِئا ... مٍ لم يُشَتِّتْه انصِداعُهْ
والأوَّلُ الماضي الذي ... حَقٌّ على الباقي اتِّباعُه
قد قال في أمثالِه ... يَكفيك من شَرٍّ سَماعُه

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها؛ ذكر الواقدي أنه] مات في سنة تسعين بدمشق، فمشى الوليد في جنازته، وصلى عليه وقال: لتُلْقِ بنو أمية أرديتَها على خالد، فلن يَحسروها على مثله[4].

[وقال هشام:] مات بالصُّبَيْرة[5] في أيام عبد الملك سنة أربع وثمانين هو وأمية بن عبد الله بن خالد بن أَسيد، والأول أصح.

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٥٨٤ (مخطط). وفي البيت الثاني إقواء.

(٢) «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٤ ، ٥٨٦ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٧ .

(٤) «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٧ وفيه: فلن يتحسروا على مثله.

(٥) في النسخ: بالصِّنَّبْرَة، والمثبت من (ص) وما بين معكوفين منها، والصنبرة: موضع بالأردن. والصبيرة: موضع بالشام. ينظر معجم البلدان ٣/ ٣٩٢ و٤٢٥ .

ذكر أولاده وأزواجه:

كان له من الولد: سعيد، وأُمُّه أَمَة[١] بنت سعيد بن العاص، وأمُّها أمُّ عمرو بنت عثمان بن عفان، وأمها رَمْلَة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وقيل: اسمها آمنة بنون[٢]، طلَّقها خالد وقال: [من الكامل]

أعطيتُ آمنةَ الطَّلاقَ عَزيمةً[٣] عندي ولم يَكْبُرْ عليَّ طَلاقُها
ولأَضْرِبَنَّ بحَبْلِ أُخرى فوقَها يوماً إذا لم تَستَقِمْ أخلاقُها

فتزوَّجها الوليد بن عبد الملك، وهي أخت عمرو بن سعيد الأشدق، ولما مات عبد الملك لم تَبْكِ عليه، فقال لها الوليد: أشماتةً بأمير المؤمنين؟ هلا بكيتِ عليه؟ فقالت: حتى يقتل لي أخاً آخر[٤]، فقال الوليد: والله لقد كسرنا ثناياه، فقالت: لقد علمتَ مَن قنعت السيوفُ رأسَه، والرماحُ اسْتَه، ـ تعني الوليد يوم قُتل عمرو ـ فقال لها: الحقي بأهلك، فقالت: ألذُّ من الدنيا وأُسَرّ.

وكان لخالد من الولد: يزيد بن خالد، لأمّ وَلَد، وكان جواداً مُمَدَّحاً، أحد وجوه بني حَرْب، بايع مروان بن محمَّد الجَعْديّ بالخلافة سنة سبع وعشرين ومئة.

وقف موسى شَهَوات ليزيد بن خالد في الطريق، فلما مَرَّ به أخذ بعِنان دابَّته وقال: [من الخفيف]

قُم فَصَوِّت[٥] إذا أتيتَ دِمَشْقاً يا يزيدَ بنَ خالدِ بن يزيدِ
يا يزيدَ بنَ خالدٍ إن تُجِبني يَلْقَني طائري بسَعْدِ السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال: كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك، فقال موسى:

---

(١) «تاريخ دمشق» ص ٤١ (تراجم النساء)، وفي «الأغاني» ١٧/ ٣٤٥ : أمية، وهذا الفصل بتمامه ليس في (ص).

(٢) وهي كذلك في «نسب قريش» ١٣٠ ، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٥ .

(٣) كذا، وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٦ ، و«تاريخ دمشق» ٤١ (تراجم النساء): كريمة، وهو الأشبه.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٤٢ (تراجم النساء): وما أقول له إلا أن أدعو الله أن يحييه حتى يقتل لي أخاً آخر.

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٥ : ثم صوت، وفي «نسب قريش» ١٣٠ ، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٧١ (مخطوط): ثم نادي.

كـنـتُ أرجـو نَـدَاك والـشـامُ دونـي كـرَجـاءِ الأَسـيـرِ فَـكَّ الـقُـيـودِ
ثـم لـم يُـخـلـف الـرّجـاءَ ولـكـن زاد فـوق الـرَّجـاءِ كـلَّ مَـزيـدِ

ومن أولاد خالد: حَرْب بن خالد لأُمٍّ ولد، وكان جواداً مُمَدَّحاً، قدم عليه داود بن سَلْم الشاعر، فقام غلمانه إليه، فأخذوا دوابَّه، وأنزلوه وأكرموه، فقال: [من المتقارب]

ولـمـا دفـعـتُ لأبـوابـهـم ولاقـيـتُ حَـرْبـاً لـقـيـتُ الـنَّـجـاحـا
وَجَـدْنـاه يَـحْـمَـدُه الـمُـرْتَـجـون ويـأبـى عـلـى الـعُـسْـرِ إلا سَـمـاحـا

فأجازه جائزةً سَنيّة، وارتحل فلم يقم إليه أحد من غِلمانه ولا عاونوه، فقال: ما بالكم؟ فقالوا: نحن نُكرم من ينزل بنا، أما إذا رحل عنا فلا.

فلما قدم داود المدينة حكى للغاضِريّ فِعلَ غلمان حَرْب، وأنشده البيتين، فقال: والله إنَّ فِعلَ غِلمانه معك أحسن من شعرك فيه[1].

قال ابن عساكر: وكان لخالد ولد يقال له[2]: عبد الله لأم ولد، وكان له ولد اسمه علي بن عبد الله، يُعرف بأبي العَمَيْطَر، خرج في أيام المأمون بدمشق، وسنذكره.

قصة تزويج خالد بن يزيد برَمْلَة بنت الزبير بن العوَّام:

ذكر الخرائطي ـ وقد تقدم إسنادنا إليه ـ فقال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، حدثنا هشام، عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى قال[3]: حجّ عبد الملك بن مروان، وحج معه خالد بن يزيد ـ وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ـ فبينا هو يطوف بالبيت إذ بَصُر برَمْلَة بنت الزبير، فعشقها عِشقاً شديداً، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكّناً.

فلما أراد عبد الملك القُفول همَّ خالد بالتخلف عنه، فوقع بعبد الملك تُهمة، فبعث إليه فسأله عن أمره فقال: يا أمير المؤمنين، رَمْلَة بنت الزبير، رأيتُها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عِيل صبري، ولقد عرضت النّومَ على

(١) «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٦ـ٤٠٧ ، و «تاريخ دمشق» ٤/ ٣١٧ـ٣١٨ (مخطوط).
(٢) في (أ) و(د): ولد اسمه. وانظر «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٢٣٥ .
(٣) من قوله: ذكر الخرائطي... إلى هنا من (ص)، بدله في النسخ: قال معمر بن المثنى.

عيني فلم تَقبَلْه، والسُّلُوَّ على قلبي فامتنع منه، فأطال عبد الملك التعجُّبَ من ذلك وقال: ما كنت أقول إن الهوى يَستَأسِر مثلَك، فقال خالد: وإني والله لأشَدُّ تعجُّباً من تعجُّبِك مني، ولقد كنت أقول: إن الهوى لا يتمكَّن إلا من صِنفين من الناس: الشعراء والأعراب.

فأما الشعراء فإنهم قد ألزموا قلوبَهم الفِكرَ في النساء والغَزَل، فمال طَمَعُهم إلى النساء، فضَعُفَتْ قلوبُهم عن دَفْعِ الهوى، فاستسلموا إليه مُنقادين.

وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته، فلا يكون الغالب عليه غير حبِّه لها، ولا يشغله عنها شيء، فضَعُفوا عن دفع ذلك، فتمكَّن من قلوبهم.

وجملةُ أمري أنني ما رأيتُ نَظرةً حالت بيني وبين الحَزْم، وحسَّنت عندي ركوبَ الإثم مثل نظرتي هذه، فتبسم عبد الملك وقال: أوكلّ هذا قد بلغ بك؟! فقال: والله ما عَرفَتْني هذه البليَّة قبلَ وقتي هذا.

فوجه عبد الملك إلى آل الزُّبير يخطب رَمْلَة على خالد، فذكروا لها ذلك فقالت: لا والله أو يُطلِّقَ نساءه، فطلَّق امرأتين كانتا عنده؛ إحداهما من قريش، والأخرى من الأَزْد، وظَعَن بها إلى الشام، وفيها يقول خالد: [من الطويل]

أليس يزيدُ الشَّوقُ في كلِّ ليلةٍ ... وفي كلِّ يومٍ من حَبيبَتِنا قُرْبا
خليليَّ ما من ساعةٍ تذكُرانها ... من الدَّهرِ إلاّ فَرَّجَتْ عَنِّيَ الكَرْبَا
أُحبُّ بني العَوَّامِ طُرّاً لحُبِّها ... ومن أجلها أحببتُ أخْوالَها كَلْباً
تَجولُ خَلاخيلُ النِّساءِ ولا أرى ... لرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجولُ ولا قُلْبا

[هذا آخر ما ذكر الخرائطي في حديث رَمْلَة، وقال أبو عبيدة مَعْمَر:] فيقال إن عبد الملك زاد فيها:

فإنْ تُسْلِمي نُسْلِم وإن تَتَنَصَّري ... يَدُقُّ رجالٌ بين أعيُنها صُلْبا!

وبلغ قوله خالداً فقال لعبد الملك: ما هذه الشَّناعة؟ قال: وما هي؟ قال: قولك: يدقُّ رجالٌ بين أعينها صُلْبا، قال: ما قلتُه، فقال خالد: فقَبَّح الله قائلَه[1].

(١) الخبر والأبيات في «المنتظم» ٦/ ٢٣٦ـ٢٣٨، والأبيات فقط في «الأغاني» ١٧/ ٣٤٤، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٠.

وبعث الحجاج إلى خالد لما بلغه أنه خطب رَمْلَة حاجبَه، فقال له: ما كنت أرى أنك تخطب إلى آل الزُّبير حتى تُشاوِرَني، وكيف خطبتَ إليهم وليسوا بأكفائك؟ وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورَمَوه بكلِّ قبيحٍ وقبيحة؟ فقال للحاجب: لولا أنك رسولٌ لضربتُ عُنقك، قل لابن أبي رِغال: ما كنتُ أظن أن الأمر بلغ بك حتى تؤهِّل نفسَك لأن تُشاوَر في مناكح قريش، وأما قولك: قارعوا أباك ورموه بكل قبيح، فإنها قريش يُقارع بعضُها بعضاً، فإذا أقرَّ الله الحقَّ مَقَرَّه تعاطفوا وتراحموا، وأما قولك: ليسوا بأكفائك، فقبّحك الله يا حجّاج ما أقلَّ علمَك بأنساب قريش، أيكون العوَّام كُفؤاً لعبد المطلب بن هاشم حتى زوَّجه صفيّة، وتزوج رسول الله ﷺ خديجة، أفلا تراهم أكفاء لآل أبي سفيان.

ولما تزوّج خالد رَمْلَة قال بعض شعراء قريش يحرِّض عبد الملك على خالد:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تُحبُّ صُدودُ
إذا ما نَظرْنا في مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذي يَنوي وأين يُريدُ[1]

وأشار إلى رَمْلَة، وأمِّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فإنه رُوي أنه تزوّجها، وإلى أمة بنت سعيد بن العاص.

[وقال الزبير: كانت رَمْلَة أخت مصعب لأبيه وأمه، أمُّهما الرَّباب بنت أُنَيْف، كلبيَّة، وكانت قبلَه عند عثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حِزام، وكانت معروفةً بالعقل والفضل والجمال، ولما قَتل عبد الملك مصعباً خطبها من أخيها عروة، فنهاه عنها وقال: بالأمس قتلتَ شقيقَها واليوم تخلو بها، لا آمَنُها عليك، فتركها، فلما تزوّجها خالد دخلت على عبد الملك يوماً، فقال لها: يا رَمْلَة، لقد غرَّني منك عروة، فقالت: لم يَغُرَّك ولكن نصحك[2].

ومن شعر خالد في رَمْلَة: [من المتقارب]

ألا مَن لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بحُبِّ المُحِلَّةِ أُختِ المُحِلّ

(١) «نسب قريش» ٤٣٥، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٢، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٧.
(٢) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠١ـ٤٠٢، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٣٨.

تـــراءَتْ لـــنـــا بـــيـــن فَـــرْعِ الأَراكِ وبـــيـــن الـعِـشـاءِ وبـيـن الأُصُـلْ[1]

أسند خالد الحديث عن دِحْيَة بن خَليفة الكَلبيّ، وأبي أُمامة البَاهِليّ، وروى عنه رجاء بن حَيوة، والزُّهري.

وكان أهل الشام قد عزموا على بيعته بعد أخيه معاوية، فاستصغروه، فولَّوا مروان ابن الحكم، وأخذوا عليه العهود، واستوثقوا منه بالأيمان على أن يجعله وليَّ عهده، فغدر به مروان، وخلعه وبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز [وقد ذكرناه.

فصل: وفيها توفي]

أبو العالية الرِّياحيّ

واسمُه رُفَيع بن مِهران، وإنما قيل له: الرِّياحي لأن امرأة من بني رِياح بن يَربوع [أعتقته.

وذكر الواقدي أن امرأة من بني رياح] اشترته، ودخلت به المسجد يوم الجمعة والإمام على المنبر، فقبضت على يده وقالت: اللهم إني أَذْخَرُه عندك ذَخِيرة، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبةٌ لله، لا سبيلَ لأحدٍ عليه، قال: فتركتْني وذهبت، فما تراءينا بعد ذلك.

[وذكر ابن سعد بمعناه، وذكره في] الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، [وحكى عنه أنه] قال: ما مَسِسْتُ ذكري بيميني منذ سبعين سنة.

[قال: وقال أبو العالية:] لو مَرَرْتُ بصرَّافٍ وعَشَّارٍ ما شربتُ من مائه.

[قال:] وأوصى بثلث ماله في سبيل الله، وبثلثه في أهل رسول الله ﷺ، وبثلثه في فقراء المسلمين، فقيل له: فأين مواليك، فقال: أنا سائبة، والسَّائبة يضع نفسه حيث شاء.

وكان إذا دخل على ابن عباس بالبصرة أجلسه معه على سريره، قال: وكان قميصه وعمامته ورداؤه بخمسة عشر درهماً، وكان يشتري الكِرباسة[2] بخمسة دراهم، فيقطعها ثلاثة.

---

(١) نسب البيتان إلى النميري وأبي شَجرة السُّلَمي وعمر بن أبي ربيعة، انظر «الأغاني» ٦/ ٢٠٦ـ٢٠٧ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٤ والمصادر فيه، والأول في «الكامل» ١١٩٣ ، و«العقد الفريد» ٤/ ٤١٣ دون نسبة.

(٢) ثوب غليظ من القطن، ومن قوله: قال وكان قميصه... إلى نهاية الترجمة أثبت سياق (ص) لتمامه ووضوحه.

وحكى ابن سعد أيضاً عن أبي خَلْدَة قال: دخلتُ على أبي العالية، فقرَّب إليَّ طعاماً فيه بَقْل وقال: كل فإن هذا ليس من البقل الذي تخاف أن يكون فيه شيء، هذا أرسل به إليّ أخي أنس بن مالك من بستانه، قلت: وما شأن البقل؟ قال: إنه ينبت في مَنبت خَبيث تعلم ما هو، قلت: وما هو؟ قال: البول والحيض والنّجاسة.

وحكى عن أبي خَلْدة أيضاً أنه قال: رأيت أبا العالية يسجد على وِسادة وهو مريض على فراشه.

قال ابن عساكر: وذكره ابن مَنده في كتاب «معرفة الصحابة» فقال: أدرك أبو العالية زمان رسول الله ﷺ، وأسلم بعد وفاته بسنتين، ودخل أصبهان مع أبي موسى في الفتح، وهو مولى أُميّة بنت سُمَيّة[1]، وقيل: إنه أسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ بعام.

وقال أبو نعيم[2]: أدرك أبو العالية الجاهلية والإسلام، فهو مخضرم.

وكان إذا دخل على ابن عباس أخذ بيده، وأجلسه معه على سريره، وقريش تحت السرير، فيتغامزون ويقولون: هو مولى، فيقول ابن عباس: إن هذا العلم يزيد الشريف شَرفاً، ويُجلس المماليك على الأَسِرَّة.

وأخرج هذا الأثر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» عن محمد بن الحارث ثم أنشد: [من الطويل]

رأيتُ رفيعَ الناس مَن كان عالماً ... وإن لم يكن في قومه بحَسيبِ
إذا حلَّ أرضاً عاش فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدةٍ بغريب[3]

وقال الشعبي: كان أبو العالية عالماً فاضلاً زاهداً، يختم القرآن في كل يومين.

وقال: قرأتُ القرآن قبل أن يُقتل عثمان بن عفان بخمس عشرة سنة، وقبل أن يولد الحسن البصري بسنة.

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٣ (مخطوط): بنت بيضة.

(٢) في (ص): وقال ابن منده، والمثبت من «تاريخ دمشق».

(٣) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٩ (مخطوط).

وكان إذا جُلس[١] إليه أكثر من أربعة قام، يعني أنه كان يخاف الشهرة.

[وروى أبو نعيم، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية] قال: كنتُ أرحَل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أَتَفَقَّد من أمره صلاته، فإن وجدتُه يُقيمها ويُتمّها أقمتُ عنده، وسمعت منه، وإن وجدتُه يُضيّعها رجعتُ ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع.

[وروى أبو نعيم أيضاً، عن عثمان، عن أبي العالية] قال: لا تعمل لغير الله فيَكِلَكَ الله إلى مَن عملتَ له[٢].

وقال الزهري: هو أول مَن أَذَّن وراء النهر حين دخل خُراسان[٣].

ذكر وفاته:

[روى ابن أبي الدنيا[٤]، عن العباس بن يزيد، عن يعلى بن عبد الرحمن العَنْبريّ، عن] سيّار بن سلامة قال: دخلتُ على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أنت؟ فقال: إنَّ أحبَّه إليّ أحبُّه إلى الله تعالى.

وحكى ابن عساكر عن أبي عبد الله بن خَفيف قال: وقعت الأَكْلَةُ في رجل أبي العالية، فدبّت إلى ساقه، فأشاروا عليه بقطعها [وقالوا: نخاف أن تسري، فقال: اجمعوا حملة القرآن، فاجتمعوا وشرعوا في القراءة، وركبوا المنشار عليها] فقطعوها وهو ساكت، فقالوا له: ما وجدتَ ألمها؟ فقال: شَغَلني بَرْدُ مَحبَّة الله عن حرارة المنشار، ثم أخذ رجله بيده، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إن تسألْني يوم القيامة: هل مشيتَ بها منذ أربعين سنة في شيء لم أرضه؟ لقلت: لا، وأنت تعلم أني لصادق[٥].

---

(١) في (ص): وروى عبد الله بن الإمام أحمد، عن عاصم قال: كان أبو العالية إذا جلس... والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ٢١٨، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٢ من طرق عن عاصم والليث.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٢٠ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) وقع قول الزهري في (ص) بعد قول الشعبي السالف.

(٤) في (ص) وما بين معكوفين منها: ابن أبي نعيم، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٤.

(٥) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧١، وما بين معكوفين من (ص).

[قلت: لم يذكر ابن سعد في «الطبقات» هذه الحكاية، ولا أبو نعيم ولا ابن منده، ولا جدي في «الصفوة»، الذي ذكر ابن سعد في «الطبقات» في وفاة أبي العالية قال:] توفي أبو العالية يوم الاثنين في شوال سنة تسعين، وأوصى إلى مُوَرِّق العِجْليّ أو إلى بُريدة الأَسلَميّ أن يُوضع في قبره جريدتان، ومات بأدنى خراسان، فلم توجدا إلا في جوالق حمّار، فلما وضعوه في قبره وضعوهما معه.

[هذا صورة ما ذكره ابن سعد، وأشار بالسَّعَفَتَين إلى الحديث المشهور، يدفع عنه عذاب القبر[١].

وذكر جدي في «الصفوة» أنه مات يوم الاثنين في شوال سنة تسعين، ولم يذكر الجريدتين.

وقال الواقدي: مات يوم الاثنين ثالث شوال.

وحكى ابن عساكر عن] البخاري أنه قال: مات في سنة ثلاث وتسعين.

وقال المدائني: في سنة ست ومئة، وقال محمد بن إسحاق: سنة إحدى عشرة ومئة.

[والأصح أنه مات في سنة تسعين كما ذكر ابن سعد، وقد نصّ عليه ابن حَنْبل في رواية عنه.][٢]

أسند أبو العالية عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي أيوب، وأُبيّ بن كعب، وأبي موسى، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة وخلق كثير، وأرسل الحديث عن بعضهم.

وروى عنه: قتادة، وعاصم بن سُليمان الأحول، وداود بن أبي هند، والربيع بن أنس، ومحمد بن واسع، وثابت البُناني، وعمرو بن [عُبيد، وخالد بن] دينار، وحَفْصة بنت سيرين في آخرين[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٠)، والبخاري (٢١٨) من حديث ابن عباس، وأحمد (٩٦٨٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه أحاديث أخرى انظرها ثمة.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ١١١ـ١١٦ ، وتاريخ البخاري الكبير ٣/ ٣٢٦ ، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢١٢ ، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٥ـ٢٧٦ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٢١٣ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٧ .

(٣) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٠ وما بين معكوفين منه، وانظر «تهذيب الكمال» (١٩٠٧)، و«السير» ٤/ ٢٠٧ .

واتّفقوا على صِدقه، وثقته، وأمانته، وزهده، وورَعه، قال أبو حاتم: أبو العالية مُجمعٌ على ثقته ودينه وورعه[١].

وقال الفِرَبْرِيّ: أخرج عنه البخاري في «صحيحه».

ولم يتكلّم فيه غير الشافعي رحمة الله عليه فإنه روي عنه أنه قال: حديث أبي العالية الرياحي ريح.

قال البيهقي: إنما تكلم فيه لأجل حديث القهقهة في الصلاة، وكان لسلامة صدره يُرسِل الحديث[٢].

وقال ابن سعد: كان أبو العالية ثقة كثير الحديث[٣].

عبد الرحمن بن المِسْوَر

ابن مَخْرَمَة بن نَوفل بن أُهَيْب بن عبد مَناف بن زُهرة، وأمه أَمَةُ الله بنت شُرَحْبيل بن حَسَنَة، المدني[٤].

و[عبد الرحمن بن] المِسْوَر من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، وتوفي بها سنة تسعين، وكان قليل الحديث.

وكان شاعراً، وهو القائل: [من الخفيف]

بينما نحنُ من بَلاكِثَ بالقـ ... ـعِ سِراعاً والعِيْسُ تهوي هُوِيًّا
خَطَرتْ خَطرةٌ على القلبِ من ذِكْـ ... ـراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيًّا
قلتُ للشُّوقِ إذ دعانِيَ لَبَّيْـ ... ـكَ ولِلحادِيَيْنِ كُرًّا المَطِيًّا

(١) نسب هذا الكلام المزي في «تهذيبه» (١٩٠٧) إلى أبي القاسم اللالكائي، ولم أقف عليه لأبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٣/ ٥١٠.

(٢) انظر «ميزان الاعتدال» (٢٦٦٧)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٦١١.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١١٦.

(٤) المدني نسبة عبد الرحمن بن المسور، أما شرحبيل بن حسنة فهو الكندي، انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٩، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٤١٢ وما سيرد بعده بين حاصرتين استدراكٌ لصحَّة السياق.